

الوافي في الوفيات

وهو سعد الرابية الكوفي سُمِّي الرابية بموضع كَانَ يَعْلَمُ فِيهِ النحو أخذ عن أبي الأسود الدئلي وَكَانَ مَزَّاحاً مَضْحَكاً اجتمعت بنو راسب والطُّفاوة إلى زياد بن أبيه فِي مولد فقال سعد الرابية : أيها الأمير يُلْقَى هَذَا المولد فِي الماء فإن رَسِبَ فهو من راسب وإن طفا فهو طفاوة فأخذ زياد نعله وقام ضاحكاً وقال : ألم أنهك عن الهزل فِي مجلسي ؟ وفيه يقول الفرزدق من البسيط : .

إِنِّي لَأُبْغِضُ سَعْدًا أَنْ أَجَاوِرَهُ ... وَلَا أُحِبُّ بَنِي عَمْرٍو بِنِ يَرْبُوعَ .
قومٌ إِذَا غَضِبُوا لَمْ يَخْشَهِمْ أَحَدٌ ... وَالْجَارُ فِيهِمْ ذَلِيلٌ غَيْرُ مَمْنُوعَ .
وَكَانَ عبيد الله بن زياد يستظرفه وبقرَّ به فأبطأ عن صلتِه أشهراً فقال يوماً عبيد الله : مَا أَحْوجُنِي إِلَى وَصْفَاءَ لَهُمْ حُلَاوَةٌ وَقُدُودٌ وَرِشَاقَةٌ يَقُومُونَ عَلَى رَأْسِي وَيَلُوثُونَ ثَوْبِي فقال سعد : حاجتك عندي أَيُّهَا الأمير ! .

وعمد إلى أصلح من قدر عَلَيْهِ من الغلمان الذين عنده فِي مكتبه فألبسهم ثياب الوصفاء وأتى من قدر عَلَيْهِ من الغلمان الذين عنده فِي مكتبه فألبسهم ثياب الوصفاء وأتى بهم فأُعْجِبَ بهم عبيد الله واشتراههم وِغَالَى بهم ومضى سعد فاخْتَفَى عند بعض أصحابه فلما جاء الليل بكر الصبيان فقال عبيد الله : أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُونَ ؟ فقال كلٌّ مِنْهُمْ : نريد بيتنا ! .
فقال : وأين بيتكم ؟ فقالوا : فِي موضع كذا وكذا وأنا ابن فلان وهذا ابن فلان ففطن عبيد الله أَنَّهُمَا حيلة وسخريَّة وأنه أخذ المال باطلاً فوضع عَلَيْهِ الرصد فلمَّا جِئَ بِهِ قال : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قال : أَبْطَأْتُ صِلَتَكَ عَنِّي وَقَطَعْتَنِي مَا عَوَّدْتَنِي ! .
فضحك منه وترك المال لَهُ .

الحيص بيص .

سعد بن محمد بن سعد بن صيفي شهاب الدين التميمي المعروف بحيص بيص أبو الفوارس .
وَكَانَ فقيهاً شافعي المذهب تَفَقَّهَ بِالرِّيِّ عَلَى الْقَاضِي مُحَمَّدٍ بن عبد الكريم الوزان وتكلم فِي الخلافة إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَ عَلَيْهِ الأدب والنظم وأجاد فِيهِ وَلَهُ رِسَائِلٌ بليغة أَثْنَى عَلَيْهِ أَبُو سعد السمعاني فِي الذيل وَحَدَّثَ بِشَيْءٍ مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ وَقُرئ عَلَيْهِ ديوانه وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كبيراً من أَخْبَرَ النَّاسَ بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَلِقَائِهِمْ وَكَانَ فِيهِ نِيَّةٌ وَتَعَاظُمٌ وَلَا يَخَاطَبُ النَّاسَ إِلَّا بِالْكَلامِ الْعَرَبِيِّ وَكَانَتْ لَهُ حِوَالَةٌ بِمَدِينَةِ الْحِلَّةِ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَكَانَتْ عَلَيْهِ ضَامِنُ الْحَلِيقَةِ فَسِيرَ غَلَامُهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَعْرِجْ عَلَيْهِ وَشْتَمَ أَسْنَاذَهُ فَشَكَاهُ إِلَى وَالِي الْحِلَّةِ وَكَانَ يَوْمئِذٍ ضِيَاءُ الدِّينِ مَهْلَهْلَ بن أبي العسكر

الجاواني فسيرّ معه بعض غلمان الباب ليساعده فلم يقنع أبو الفوارس منه بذلك . فكتب إليه يعاتبه وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مودّة : مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ صَاحِبَهُ السَّيِّئِ وَمودّتها يكون مقدارها فِي النفوس هَذَا المقدار بل كنت أظنّ أَنَّ الخُميسَ الجَحللَ لو زل عِرضاً لقام بنصري من آل أبي العسكر حماة غلب الرقاب فكيف بعامل سُوءِ يَقَةٍ وضامنٍ حُلَايَةٍ ويكون جوابي فِي شكواي أَن يُنفّذَ إِلَيهِ خويدمٌ يعاتبه وبأخذ مَا قبله من الحق لا وإني : من البسيط :

إِنَّ الْأُسُودَ الغَابَ هَمَّتْهَا ... يوم الكريمة فِي المسلوب لا السلب .
وبإني أقسم ونبيه وآل بيته لئن لَمْ نُنْعِمْ لِي حُرْمَةً تتحدّثُ بِهَا نساءُ الحِلَّةِ فِي أعراسهن ومناجاتهنّ لا أقام وليّك بخلّتك هَذِهِ ولو أُمسى بالجسر أو بالقناطر ! .

هَبْنِي خَسِرْتُ حَمْرَ النعم أَفَأَخْسِرُ أَبْيَتِي وَاذِلَّاهُ وَاذِلَّاهُ ! .
والسلام .

وَكَانَ يَلْبِسُ زِيَّ الْعَرَبِ وَيَتَقَلَّدُ سَيْفَ وَيَحْمِلُ خَلْفَهُ الرَّمْحَ وَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِمَا خُذَ الْأَمْرَاءُ وَيَتَبَادَى فِي كَلَامِهِ فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْفَضْلِ وَقِيلَ : الرَّئِيسُ عَلِيٌّ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ مِنَ الْخَفِيفِ :

كَمْ تُبَادِي وَكَمْ تُطَاوِلُ طَرَطُو ... رَكَ مَا فِيكَ شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيمٍ .
فَكُلِّ الصَّبَّ وَاقْرَضِ الْحَنْظَلَةَ الْآخِ ... ضَرَّ وَاشْرَبَ مَا شَتَّ بُولُ الظَّلِيمِ .
لَيْسَ ذَا وَجْهِ مِنْ يَضِيفُ وَلَا يَقِي ... رِي وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمٍ .
فَلَمَّْا بَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ أَبَا الْفَوَارِسِ قَالَ : مِنَ الْخَفِيفِ :
لَا تَمَازَعُ مِنْ عَظِيمٍ قَدْرٍ وَإِنْ كُنْ ... تَ مُشَارَاً إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ .
فَالشَّرِيفُ الْكَرِيمُ بِنَقْصِ قَدْرًا ... بِالتَّجَرُّيِّ عِلَاىَ الشَّرِيفِ الْكَرِيمِ .
وَلَا عِ الْخَمْرُ بِالْعُقُولِ رَمَى الْخَمِّ ... رَ بَتَنْجِيسِهَا وَبِالتَّحْرِيمِ .
وَعَمَلُ فِيهِ خَطِيبُ الْحُورَةِ الْبَحِيرِيِّ مِنَ الْكَامِلِ :